

العلم، والعمل، والإيمان:

تلك هي الينابيع الثلاثة الكبرى في حياة الإنسان، وتلك هي أيضاً الينابيع الثلاثة الكبرى في حياة الأفكار والمبادئ والدعوات، وهي متشابكة متساندة مترافدة، كل منها يدفع إلى الآخر ويؤازره ويمده، وقلما وجد واحد منها منفرداً عن صاحبيه إلا إذا كان وجوده وجوداً مؤقتاً غير مستقر، أو كان هو نفسه صورة ظليلة غير طبيعية.

من آمن بشيء فقد عرفه، ولو لا أنه عرفه لما كان آمن به، لأن الإيمان تصديق وإذعان وحكم، والحكم على الشيء – كما يقولون – فرع عن تصوره.

ومن آمن بشيء لأنه عرفه، فلا بد أن يكون قد عرف فيه ما يجعله يحبه، وما يبعثه على التضحية في سبيله، والعمل أهم مراحل التضحية، لأنه جهد يبذل وعلى قدر المحبوب، يكون البذل في سبيله والعمل من أجله، وإيثاره على ما سواه.

وقد أبى الله جل جلاله أن يعتد بإيمان الذين يوازنون في المحبة والإيثار بين أشخاصهم ومنافعهم، وبين الله ورسوله، وأشار إلى أنهم غير جديرين بأن يعدوا من المؤمنين، وإنما هم في واقع أمرهم من الفاسقين، قال الله تعالى: " قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا ". حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين.

وذلك على اعتبار أنهم ما عرفوا الله حق معرفته، " وما قدروا الله حق قدره " ولو عرفوه وقدروه؛ لكان إيمانهم به أعمق من أن يؤثر شيء عليه، أو يحب شيء أكثر! منه، وما ذلك في واقع الأمر إلا فسق، ولو تظاهر فاعلوه بأنهم مؤمنون

ولهذا الارتباط بين تلك الينابيع الثلاثة، يخطئ من يكلف إنساناً أن يعمل دون أن يكون محباً لما يعمل ويخطئ من يكلف إنساناً أن يؤمن بشيء دون أن يكون هذا الشيء واضحاً له، خالياً من كل شائبة تشوبه، ومن كل غموض يثير الشك فيه

ولكن من الناس من ترضيه، أو تلهيه، الصور الظلية عن الحقائق الواقعية فيعجبه، أو يكفيه، التظاهر بالعمل، مع إدراكه أنه عمل لا روح فيه، ولا هدف له، ولا ثمرة يمكن أن تجتني منه، ويعجبه، أو يكفيه، التظاهر بالتحمس، وهو يعلم أنه لم ينبعث عن إيمان ولا عن عرفان، ولكن عن خداع ورياء

ومثل ذلك لا دوام له ولا قرار، إلا إذا دام الزيد، وقرت الأوهام

هذا هو القسطاس المستقيم الذي يجب أن توزن به الأعمال إذا أردنا أن نعرف ما هو لله منها، وما هو للشيطان: فما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انبت:
وانقطع

ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء نؤتي أكلها كل حين بإذن ربها، ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون، ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء